يا معلّم، اشرح لنا.
التلاميذ يسألون يسوع

بقلم الأب بولس دومينيك مركوفيتس

- رقم ٢-

فهرس

تمهيد 3

الفصل الأول - من تراه يقدر أن يخلص ؟ 4

الفصل الثاني - ها قد تركنا نحن كل شيء وتبعناك، فماذا يكون مصيرنا ؟ 6

الفصل الثالث - يا معلّم، أما تبالي أننا نهلك؟ 8

الفصل الرابع - سأله تلاميذه عن المثل 10

الفصل الخامس - سأله التلاميذ في البيت أيضًا عن الطلاق 12

الفصل السادس - إلى أين تريد أن نمضي فنعدّ لك لتأكل الفصح؟ 14

الفصل السابع - أين تُقيم ؟ 16

الفصل الثامن - لماذا لم يُبَع هذا الطيب بثلاثمائة دينار فتُعطى للفقراء ؟ 18

تمهيد

يا معلّم اشرح لنا.

هذا كتاب جديد في الرجاء. إن الحياة لها أيّام حلوة اختبرناها، لكنّها تجتاز أيّامًا عصيبة. فلا بدّ أن نجابه الصعوبات ونحاول أن نكيّفها. ومع ذلك، فلكي نستطيع أن نتقدّم، نحتاج إلى توضيحات. نستطيع أن نحتمل كثيرًا من المحن، لكن السلام لا يأتي إلاّ باللجوء إلى بعض الشرح. لا يعني ذلك أننا نستطيع أن نشرح كل شيء، لأن قسمًا من حياتنا يبقى دائمًا غامضًا. لا يُخفى علينا أننا نستطيع أن نتساءل عن حياتنا وان نصوغ سؤالاً يساعدنا على أن ننفتح على النور.

استطاع تلاميذ يسوع أن يسعدوا باتّباعه، ولكنّهم، إذا صحّ أنّهم عاشوا أيامًا سعيدة، فإنّهم عرفوا توتّرات مختلفة. أهمّها محنة وفاة معلّمهم. لكن القيامة أتتهم بالسلام والنور وقوّة الشهادة. طوال حياتهم مع يسوع، طرحوا عليه أسئلة وحاولوا أن يفهموا أجوبة يسوع :" من يستطيع أن ينال الخلاص ؟" كم مرّة يجب عليَّ أن أغفر ؟". لماذا لم نستطع أن نطرد هذا الشيطان ؟". أسئلة عن موت يسوع، أسئلة أليمة عن خيانة يهوذا وإنكار بطرس ...

إنّ أسئلة التلاميذ هي أسئلتنا. إن استطعنا أن نكشفها، فقد تساعدنا على تفهّم حياتنا. ولكن، أيّاً تكون أسئلتنا، إن لم نحصل على أجوبة ؟ يظهر يسوع هنا بأنه المعلّم. مدّة هذه المسافة، سندخل في تعليمه. تدريجيًا، سيأخذ مزيدًا من المكان. وسيرتفع نوره في قلوبنا وسيدخل في ألفته. وإذا تعرّفنا إليه، سنزداد سلامًا. إن رغبة الرب هي أن يظهر لنا ويجرّنا إلى سرّ حياته ويهبنا روحه القدّوس، ويقودنا إلى أبيه. هذا هو الرجاء الطافح.

في الإنجيل نجد أربعة وستين سؤالاً طرحها التلاميذ على يسوع. بعضها يُكرَّر حرفيًا في جميع الأناجيل. ولذلك لا أشرح هنا إلاّ عددًا منها، علمًا بأننا نكتفي بالأسئلة التي يطرحها التلاميذ. أمّا أسئلة الفريسيين والكتبة وسائر الأشخاص الذين لقيهم يسوع. فإنّها كثيرة جدًا، بغضّ النظر عن أسئلة يسوع نفسه. إن الإنجيل هو عالم من علامات الاستفهام. قال أحد أن عددها هو أكثر من خمسة وخمسين ... فإن الإنجيل هو عالم الوحي والاكتشاف. وفي وسطها يسطع سؤال يسوع " في رأيكم، من أنا ؟".

يؤلّف هذا الكتاب من ثمانية فصول، فيكون كلّ من الفصول سؤالاً من الأسئلة التي طرحها التلاميذ على يسوع. ويكون في الوقت نفسه، موضوعًا من مواضيع الدرس الثمانية الشهرية التي تؤلّف سنة.

أسئلة في ختام كل اجتماع

١- ما هي الأفكار التي أثارت اهتمامكما في موضوع الدرس هذا ؟
٢- ما هي المور التي ولّدت أسئلة عندكما ؟
٣- ما هي الحسنات التي يمكنكما أن تطبّقاها في حياتكما ؟

الفصل الأول - من تراه يقدر أن يخلص ؟

" دهش التلاميذ دهشاً شديدًا وقالوا :" من تُراه يقدر أن يخلص ؟" فحدّق إليهم يسوع وقال لهم :" أمَّا الناس فهذا شيء يعجزهم، وأمّا الله فإنّه على كل شيء قدير" (متى ١٩/٢٥).

كان التلاميذ مذعورين. ذلك بأن شابًا متديّنًا وممارسًا الوصايا بغيرة وحبّ، وغنيًا أيضًا، جاء عند يسوع ليسأله ماذا يجب على الإنسان أن يعمل لكي ينال الحياة الأبدية. لا حظ التلاميذ ان يسوع يقدّر صفة ذلك الإنسان، فكانوا يرونه بينهم في خطى الرب. لكن كل شيء قد تأرجح. بما أن الشاب قد سار طويلاً في حفظ الشريعة، عرض يسوع عليه أكثر من ذلك :" إذا أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع أموالك واعطه للفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعالَ فاتبعني ". هنا تغيّر كل شيء :" انصرف الشاب حزينًا لأنّه كان ذا مالٍ كثير ". كان الغنى يلصق على جلده، وكان كنز السماء بعيدًا جدًا. فكان الانهيار عامًا : فإنّ هذا الإنسان كان في إمكانه أن يكون رسولاً كبيرًا، فلن يكون ذلك الرسول. عندئذٍ لفظ يسوع هذه الكلمات :" يعسر على الغني أن يدخل ملكوت السموات. وأقول لكم، لأن يمرّ الجمل من ثقب الابرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت الله". فاشتدّ ارتباك التلاميذ، وقالوا :" من تُراه يقدر أن يخلص ؟"

لا يجوز أن نغلط. فإنّ الأموال ليست ردئية في حدّ ذاتها : لأن يسوع لا يريد أن نضع جميع الناس في البؤس. لو غنى الشاب قد اكتُسبَ بالحرام، لما قدَّره يسوع. فماذا يطلب يسوع ؟ يطلب أن لا نكون أسراء من أي شيء : لا من الغنى ولا من السرور بالانتماء إلى ثقافة أو أسرة او شعب. يطلب يسوع منّا أن نكون أحرارًا، لأنّ كوننا نمتلك شيئاً قد يجعلنا عبيدًا لهذا الشيء، سواء أكان كبيرًا أو صغيرًا : المال أو النسل، وحتى الديانة : كل شيء قد يصبح معبودًا ويتخذ مكان الله. إنّ التجربة هي هنا دائمًا وهي قوية. ولكي نتحرّر، لا يطلب يسوع منّا أن نعمل كما لو لم يكن عندنا أيّ شيء، بل ما "نعطيه للفقراء". فإنّ الصدقة للآخرين هي معيار كل حياة أصيلة مع الله.

إن التلاميذ يستطيعون أن يفهموا كل ذلك، ونحن أيضًا. ومع ذلك، فإنهم مذعورون. لماذا ؟ ما هو الشيء العسير فهمه، الذي يدفعهم إلى الصراخ :" مَن يقدر أن يخلص ؟". في ذلك الزمن، كان الغِنى يدل على بركة الله، فكان الإنسان غنيًا بفضل الله. وكان الغني يستطيع ان يقرّب العديد من الذبائح في الهيكل لمجد الله. وكان يستطيع أيضًا أن يُكثرالهدايا للفقراء. لكن يسوع يقلب القِيَم : لا يقول إن الغنى شيء رديء، ولكنّه يقول إنه ليس هو حتمًا بركة من عند الله، لا بل قد يكون عقبة. هذه هي حالة الشاب الغني فإنّ غناه كان يمكنّه من العطاء والكرامة، ولكنه كان يمنعه من التمسّك تمامًا ونهائيًا بالله. ولكنه كان يمسكه كرباط في رجله. ولذلك فإن ابتكار يسوع هو في هذه النقطة : لا يعرض أوَّلاً ترويض حياة، أي الفقر، ولا يتمنّى فقط أن توّزع أموالنا على الفقراء، بل يطلب أن نتبعه هو ونتمسَّك به تمامًا، وأن نكون أحرارًا في سبيله وفي سبيله فقط.

حين يكون عندنا أموال كبيرة مهما كانت، يصعب علينا جدًا أن نتركها كلها، علمًا بأن ترك الأموال المادية هو أسهل أحيانًا من ترك الأموال العاطفية والتمسّكات بالنفس وبالآخرين، وحتى بالكنوزالروحية التي نظنّ أنها تأتي من الله. كتب يوحنا الصليب أن أسوأ المخاطر هي بأن يكون للإنسان " نفس مالكة ". إن التجربة منذ آدام وحواء هي ان يكون الإنسان مالكًا، فإنّ ذلك يُغلق الباب على الله. لكن الاختباء الذي قام به العديد منّا هو أن ترك كل شيء، وترك النفس هو شاق جدًا. " لأن يمرّ الجمل من ثقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت الله ". تلك حقيقتنا. دائمًا شيء ما يحبسنا. متى نصبح أحرارًا تمامًا في خطى الرب؟.

" أمَّا الناس فهذا شيء يعجزهم، وأمَّا الله فإنّه على كل شيء قدير ". إن الله وحده يستطيع أن يحرّرنا من بعض القيود التي تربطنا. إن الله وحده يستطيع أن يعمل ذلك ببساطة، في السلام. ما أكثر عدد الناس الذين يستطيعون أن يذهبوا إلى الله، في حين أن كل شيء يبدو أنه يمنعهم ! إن جواب يسوع هذا يعيد الرجاء إلى الجميع. حتى إن كان بعضهم يتركون كل شيء، كما يجري في الحياة المكرَّسة، فإن الدعوة إلى السير في خطى الرب من دون عرقلة تعني جميع الناس.

الفصل الثاني - ها قد تركنا نحن كل شيء وتبعناك، فماذا يكون مصيرنا ؟

" فقال له بطرس : ها قد تركنا نحن كل شيء وتبعناك، فماذا يكون مصيرنا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم : أنتم الذين تبعوني، متى جلس ابن الانسان على عرش مجده عندما يجدِّد كل شيء، تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر عرشاً، لتدينوا أسباط اسرائيل الاثني عشر. وكل من ترك بيوتاً أو أخوة أو أخوات أو أبًا أو أمّاً أو بنين أو حقلاً لأجل اسمي، ينال مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية. وكثير من الأوّلين يصيرون آخرين، ومن الآخرين أوّلين " (متى ١٩/٢٧-٣٠).

إليكم سؤال يهمّنا جميعًا. ما أشدَّنا إنسانية وصحّة أن نطرحه على أنفسنا. لقد عملنا كثيرًا من أجل الرب وفي سبيل الآخرين ... ماذا يعود إلينا ؟ اختار بعضهم الحياة المكرَّسة، فوجب عليهم العديد من المعارك ليبقوا أمناء أو ليعملوا فقط للخدمة المعهودة ... ماذا يعود إلينا ؟ وهناك آخرون، مع المحافظة على خيرات هذا العالم، سعوا لعدم التمسّك بها ولاستخدامها بالمحبة الآتية من عند الله. ماذا يعود إليهم ؟ بطريقة من الطرق، وجب علينا جميعًا أن نقاتل أنفسنا لنترك كل شيء ونعطي وننفتح على الآخرين. كيف لا نرى أنفسنا في تعداد يسوع : بيوت وأخوة وأخوات وأب وأم وأولاد ...؟ فلقد وُجب علينا كثير من الوقت والدموع، لكي نستطيع أن نزهد، ولكي نتخلّص نحن الكائنات والأشياء، ... ونكون في خدمة الله والآخرين.

" ماذا يعود إلينا "؟ إن سؤال بطرس يهمّنا في العمق. لا يأتي من الكبرياء أو من الأنانية، أو من الرغبة في إرجاع كل شيء إلى النفس، بل من رغبتنا في أن نرى تضحياتنا تأتي بالثمر. يمكننا أن نترجم سؤال بطرس بهذه الكلمات : لماذا تنفع تضحياتنا. نستطيع أن نتخلَّص من العديد من الأشياء، وأن نحرم أنفسنا من الكثير، ولكن شرط أن نساعد الذين نحبّهم جميعًا. إلى هذا السؤال، الحاضر في قلوبنا، سيجيب يسوع.

قد يبدو جواب يسوع بعيدًا لأوّل وهلة :" الجلوس على العروش الإثني عشر" ... إن هذه الصورة تشير إلى رسل الربّ الذين سيدينون العالم كلّه. فإنّهم ينظرون إلينا بعطف وفرح، ويدينون بحق وصلاح وغفران " ما من شيء يُظلم نظرهم، لأنّهم هنا وليدينوا"، أي " ليخلّصوا" العالم. تلك هي المكافأة. على الأسئلة : لماذا ينفع ذلك ؟ ماذا يعود إلينا ؟ يجيبنا الرب : حياتكم تنفع، لأنها خصيبة. إن حياتنا وأفراحها وأحزانها، والتي تُعاش لأجل الرب ولخير الآخرين، تخلق هذا العالم. إن تضحياتنا وجهودنا وتقشفاتنا اليوميّة، وأفراحنا أيضًا، كل ذلك يصل إلى أعماق الإنسانية لكي يحوّلها إلى سعادة الله. هكذا نبني هذا العالم. طبعًا، هناك انتظار طويل أحيانًا. إن الوالدين يعرفون ذلك : أمام أولادهم الذين ينمون، غالبًا يحب السكوت، والانفتاح على المناجاة، أو الحديث باحترام ووضوح ... كل ذلك يرتكز على حبّ كبير ورجاء كبير ... ذلك دينونة هذا العالم كل يوم. نفتح قلبنا ونرجو مستقبله. وبذلك تمكّنه من الحياة. تلك المكافأة ليست مجرَّدة. فالفرح هنا وهو يستطيع أن يأتي بذلك الانفتاح النفسي، والاستعداد القلبي للذين نحبّهم طبعًا، وللكثيرين أيضًا. أمّا مكافأتنا فهي خصوبة خلاص الله عَبرَ حياتنا.

نفهم إذاً تناسق المكافأة التي يعطينا الرب إيّاها. وهو يضيف :" سيكون لكم أكثر بكثير ...". لكن القديس مرقس يكتب :" مئة مرّة أكثر ". إن حياتنا هي خصيبة للذين نحبّهم. نعرف ذلك عن طريق الايمان: حتى إن كنّا لا نرى شيئاً، وحتى إن بدا اننا نجاهد ونضحّي بلا فائدة لشخص من الأشخاص، فإن الله يسمع ويحمي ذلك الشخص الذي نحبّه. بل هناك ما هو أكثر من ذلك، فإن الله يحوّل عطاء نفسنا إلى نعمة لجميع الناس. سنرى في السماء أهمية حياتنا.

كلمة واحدة تختم ما يقوله لنا يسوع عن "التراث". كل ما قاله لرسله، وكل ما يعدنا به، هو حياة أبيه. إن الآب يعطي. إن الآب يُسلم ابنه " ليخلّص" العالم. إن الآب ينظر إلى كل واحد، ونحن معًا جميعًا، بحب ورجاء. يريد الآب أن لا يهلك أحد منّا. إن "الميراث" هو ذلك الحب للجميع، الذي يبدأ سكناه فينا. إنه ذلك الصبر الطويل الذي لا يفقده صبره للآخر.

" كثير من الأولين يصيرون آخرين، ومن الآخرين أوّلين" : هكذا ختم يسوع كلامه. إن القديرين في هذا العالم ليسوا دائمًا من نظنّهم. والذين يحملون العالم، والذين يعطونه الحياة، هم الذين يحبّون كما أحبّنا الرب، إنّهم يبقون مخفيّين. لكن الله يراهم وهم في نظره " الأولون".

الفصل الثالث ـ يا معلّم، أما تبالي أننا نهلك؟

" فأيقظوه وقالوا له : يا معلّم، أما تبالي أننا نهلك ؟ فاستيقظ وزجر الريح وقال للبحر: اسكت ! اخرس ! فسكتت الريح وحدث هدوء تام. ثم قال لهم : ما لكم خائفين هذا الخوف؟ ألِى الآن لا إيمان لكم ؟ فخافوا خوفاً شديدًا وقال بعضهم لبعض : من تُرى هذا حتى تطيعه الريح والبحر ؟ (مر ٤/ ٣٨- ٤١).

إن سؤال التلاميذ يكاد أن لا يكون مهذبًا !... هل كان في إمكانهم أن يستعملوا كلمات أخرى ؟ إنها العاصفة. في بحيرة الجليل، يعرف الناس أن العواصف قد تكون شديدة. فالضيق هو جسيم. " كانت الأمواج تندفع على الزورق، فكان كل شيء يتحرّك، في حين كان يسوع نائمًا. نحن نفهم لهجة التلاميذ، ونُعجَب ببساطتهم. أكثر من التوبيخ، نجد ثقة تامّة بمعلّمهم. أنت هو، ستخرجنا من كل ذلك.

إن العواصف لا تصل إلاّ إلى بحيرة الجليل. فهي تستطيع أن تهزهز حياتنا وتقلب قلبنا وتعطّل عقلنا. تلك العواصف قد تأتي من أزمات باطنية. ومن محيطنا العائلي أو المهني، ومن الكنيسة أيضًا. إنّها تأتي في بعض الأعمار، وكثيرًا ما تأخذنا بمفاجآت، في حين كان كل شيء يبدو هادئاً فينا. قد تكون تلك الأرياح المضادّة مميتة احيانًا، أو تترك آثارًا على أقل تقدير. في الرعب الباطني، يجري لنا أن لا نكون إلاّ قليلاً أكثر تهذيبًا من التلاميذ بالنسبة إلى الرب. ترتفع العتابات، وهذا حسن، والتعبير عنها للرب هو فعل إيمان، لا بل على طريقة المزامير. في العاصفة، أوّل ما يجب أن نعلمه هو أن نأخذ كتاب المزامير ونقول تلك الآيات التي يرفع فيها المؤمن إلى الله ما لا يفهمه وعتاباته: "إلامّ، ياربّ ؟ على الدوام تتوارى ؟ (مز ٤٧/٨٨). إن الإيمان والبساطة يجعلاننا نتكلّم هكذا. في وسط العواصف ويستطيع المؤمن أن يقول :" متسلّط أنت على طغيان البحار، وأنت تسكّن أمواجها عند ارتفاعها " (مز ١٠/٨٩).

لننظر الآن إلى موقف يسوع. سيُظهر ألوهيته : أكثر من صوت " المياه الغزيرة " (مر ٤/٩٣). في هذه الساعة، يبدو أن يسوع هو في عالم آخر ... فإنه ينام. كيف يكون النوم في مثل ذلك الضجيج ؟ إذا صحّ أن يسوع، في إنجيل مرقس، لا يتأخر عن ردّ الفعل، فإنه في إنجيل متى، يصرف ما يلزمه من الوقت : يوجّه أوّلاً معاتبات إلى التلاميذ لقلّة إيمانهم، ثم يقف ويُسكت العاصفة ... الهدوء ! في رُعبنا الباطني. كثيرًا ما يبدو أن الرب هو في مكان آخر، وأنه غير مستعجل وليس هو ونحن على ايقاع واحد. علينا أن نتعوَّد ذلك. فإن الله يمشي على إيقاع حبّه، أي على ثقته بأعماقنا، لا بحسب أخطار العواصف السطحية : حيث يوجد إيماننا، وتمسّكنا به الحقيقي، وحيث يولد نظرنا الصحيح والحقيقي في الحياة، وحيث هو نفسه يسكن. يعرف الله معرفة جيّدة أن سفينتنا، وسفينة الكنيسة بوجه خاص قد تهتز بشدّة. لكنّه يضع ثقته في متانتنا الراسخة. ولكنّه، إذا أخذ علينا قلّة إيماننا، فلأننا ننسى أننا لسنا في زورق عاديّ، لأنه هنا. إن حضوره يكفي: لن يحدث شيء ... لن يحدث شيء قاتل، لأنه ربّ الحياة ! وكل هوّة ستكون عندئذٍ فرصة لتوطيد الإيمان والسلام.

ليس يسوع في عالم آخر، بل هو في عالم أعماقنا، حيث نعيش في الحقيقة معه، حيث إيماننا هو متين ... قد يكون هناك مأساة، إن لم يكن الرب في الزورق، فإن كل شيء يضيع. لكنّه هنا. كثيرًا ما نخرج من محنتنا مبلولين ومهزومين وربّما مصطدمين ... ولكننا تعلّمنا متانتنا. يكون الثمن عاليًا أحيانًا. ما من أحد ينجو منه. نعلم بأن الرب والمصلوب والقائم من الموت هو هنا في زورقنا. حتى إن نام، فهو قوتنا. إن نقصان الإيمان هو أن ننسى أن الرب هنا.

يجب ان نعترف بأننا نستغرق وقتاً في بعض الأحيان قبل أن نستعيد وعينا. إن العواصف هي قوية جدًا، مع أن كرامة الحياة هي أن نبقى أمناء. إن التلاميذ يستغربون ويتساءلون ويُعجبون أيضًا. " من تُرى هذا حتى تطيعه الريح والبحر ؟". فإن الشفاء والعزاء والسلام هي هنا لخير الجميع : سيأتي الرب لينير كل واحد ويلحق به على الطريق الذي سار فيه، لأن رحمة الله هي كذلك.

لنحفظ في الأذن نداء يسوع العنيف :" أسكت ! إخرس ! ". في بعض الساعات، أمام تجارب قويّة، هذا هو الصراخ الذي يجب أن نسمعه. إن يسوع، ابن الله ! الخالق، يُعيد كل شيء إلى محلّه، في سلام. في الصلاة، يليق أن نسكت لكي نترك الرب ينادي عواصفنا الباطنية. وفي الحياة مع الآخرين، عندنا هذا الإختبار : أحد تكلّم بشدّة وقوّة، وكلام محبّته هدّأنا. فليباركنا الربّ بعضنا بعضًا لكي لا نضيع أبدًا في البحر.

الفصل الرابع ـ سأله تلاميذه عن المثل

" سأله تلاميذه عن المثل. فقال لهم : ... ألا تدركون أن ما يدخل الإنسان من الخارج لا ينجّسه، لأنه لا يدخل إلى القلب ... ما يخرج من الإنسان هو الذي ينجّس الإنسان " (مر٧/١٧-٢٠).

نجد هنا أيضًا الجدال الذي يعارض الفريسيين ويسوع في ممارسة الوصايا الدينية على شرعوية خانقة، وعلى رُتَب مطبَّقة بلا روح، يميّز، في خطى أنبياء اسرائيل، القلب والحب. الغاية من الدين هو محبّة الله والقريب. والمطلوب من الوصية الدينيّة هو أن تساعد الحب، لا أن تمنعه. لِنَعُد أيضًا إلى ذلك الموضوع.

ما هو السؤال في إنجيل مرقس ؟ لمعاصري يسوع، كان من المهمّ أن يغسلوا أيديهم وهم يتلون صلوات خاصة. وكانت الأيدي تصبح "طاهرة". كان مرقس يضيف وصفاً لجميع رتب المائدة. من الواضح أن جميع تلك الرتب تمكّن من عيش جميع تفاصيل الحياة مع الله. هذه كانت غايتها. ولكن حين كان كل ذلك يُعمَل بلا روح وبلا انتباه إلى الله، كان فاعلوه يقعون في الطقوسية التي كان يسوع يندّد بها. وكان الإستدلال نفسه يطبّق على الطعام، ومن هنا أقوال يسوع التي نشرحها.

سبق أن رأينا أن القلب والإيمان يعطيان، بالنسبة إلينا أيضًا، معنى للرتب. من دونهما، تصبح الرتب فارغة. مع ذلك، لا يجوز أن نغلط. إن كان الوقت طويلاً في القداس، وإذا أصبحت الصلاة جافة، هل يجب أن نتوقف ؟ كثيرون يتوقفون لأنهم يخلطون بين العاطفة والإيمان. ليست هذه الحالة حالة الجميع. والبرهان على ذلك أن هناك أشخاصًا يقولون لي غالبًا إن الصلاة تبدو لهم طويلة وجافة وأنّ القدّاس هو مُملّ ... إن الأمانة للواجبات تساعد قلبنا على الحياة مع الله، إن أردنا ذلك. العيش في الإيمان هو أيضًا الرغبة في الأمانة بالرغم من جميع العقبات.

للمسألة مغزى آخر أيضًا. فإن التلاميذ يسألون معلّمهم، فقد انتابهم شعور بأن في أقواله رهانًا آخر. إن قلنا إن القلب والإيمان هما اللذان يعطيان معنى لكل شيء، نؤكّد أن الأولوية ليست للممارسة. فتكون النتيجة أن كل إنسان يستطيع أن يصل إلى الله إن آمن. والحال أن الرسل هم رُسل كيسوع. ولذلك فإن هذا القول هو لهم انفتاح غير عادي. فالوصايا اليهودية، حتى إن كانت معاشة كما يجب، لا يجوز أن تمنع الوثنيين من السير في خطى الرب. للدلالة على ذلك، بعد ذلك التعليم، قام يسوع بعدّة رحلات في خارج الجليل، في الأرض الوثنية. ليعني أن كلمته يجب ان تدوّي في كل مكان على الأرض. بعد العنصرة، سيلحق الرسل جميع الشعوب. في نظر يسوع، أتمّ الشريعة يعني تمكين جميع الناس من الدخول في الحياة. والحال أن حياة الشريعة هي المسيح الحيّ في طاعة أبيه، أبي جميع البشر.

إن النتيجة لنا هي أساسية. كيف نعيش رُتَب ليترجيّاتنا ؟ لا شك أننا نأتي إلى كنائسنا لنلقي عِبئنا أمام الرب، لنحصل على قوّته، ونأتي أيضًا حبًا له، لنكون هنا لا غير ! نعم، إنّها حياتنا، يومًا بعد يوم، وأسبوعًا بعد أسبوع. مع ذلك، يبقى أيضًا شيء جوهري يجب عيشه.

تتمّ رُتبنا لمجد الله، هذا هو هدفها الأوّل. ومع ذلك، لكي يمجّد الله في حياتنا كلّها، نرغب في خلاص العالم. لا يجوز أن نمنع رتبنا انفتاح كنوز الله وكنيسته على جميع البشر. ندرك ذلك، فإننا هنا كثيرون أو قليلون، حول المذبح، ولكننا نقرّب إلى الله الأرض كلّها وجميع الشعوب، لكي ينال الجميع حياة وسلامًا. هكذا يعبّر عنه المجمع الفاتيكاني الثاني :" الكنيسة هي سرّ الخلاص للعالم ".

علينا أن نعيش معًا ليترجيّاتنا التي يسكنها ذلك الانفتاح على العالم. في قلبنا، نؤمن بأننا، بنعمة الله، نأتي بالخلاص والسلام إلى العالم. إن الصلاة، ولو في حميم غرفتي، والذهاب إلى القدّاس، وقراءة الكتب المقدّسة، وممارسة العديد من الوصايا. ليس كل ذلك مفيدًا لي فقط. حين نعمل ذلك بمحبّة لله، أبي الجميع، نرتبط بجميع الناس. من أجلهم، "نمارس". ذلك هو واجبنا الأخوي. وهذا عدل أيضًا :" ما أخذناه مجانًا، فلنعطه مجانًا".

إن الروح القدس يُدخلنا في هذه النظرة الواسعة. بفضله، "لم تعد حياتنا لنا، بل له (المسيح) الذي مات وقام من الموت لأجلنا". بفضل الروح القدس، ندخل في عطيّة يسوع لخلاص الجميع. لا نستطيع ان نهجر، فإن الحب بهذا العالم هو الذي يسكننا.

الفصل الخامس ـ سأله التلاميذ في البيت أيضًا عن الطلاق

" سأله التلاميذ في البيت أيضًا عن الطلاق. فقال لهم : من طلّق امرأته وتزوج غيرها فقد زنى عليها. وإن طلّقت المرأة زوجها وتزوّجت غيره فقد زنت " (مر ١٠/١٢).

سأل الفرّيسيون يسوع : هل يحلّ للزوج أن يطلّق امرأته ؟ لا شك أن الطلاق ترخّصه الشريعة الموسوية، ولكن بشروط دقيقة. فأجاب يسوع : من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية. فمنذ بدء الخليقة جعلهما الله ذكرًا وأنثى. ولذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته ويصير الإثنان جسدًا واحدًا (تك ١/٢٧ و ٢/٢٤). فلا يكونان اثنين بعد ذلك، بل جسد واحد. فما جمعه الله فلا يفرّقه الإنسان. سأل التلاميذ يسوع عن هذا الموضوع. ولنحاول أن نفهم ما هي فكرة الرب.

لا يضيع يسوع في مشاكل التمرّس التي يريد الفريسيون أن يجذبونه إليها، بل يهتمّ بما هو جوهري. ففي الزواج يصير الإثنان جسدًا واحدًا. ذلك هو الجوهري الذي يحدّد كل شيء. وذلك ما يريده الله " منذ بدء الخليقة " من أجل سعادة البشرية. إن الوحدة هي غاية الزواج، وهي في صميم رغبة الرجل والمرأة. هناك يجدون فرحهم. وتلك الوحدة تأتي من الحب الذي يقول ما هو الله، الذي يقول ما هما الرجل والمرأة المخلوقين على صورة الخالق.

إن وحدة الزواج تأتي من الحب. ما هو ذلك الحب؟ إذا فهمنا ذلك نوجّه غالبًا المستقبل ويجعل الأمانة ممكنة. لا يدور الكلام حقاً على انصهار بين الأشخاص، وهو حلم ينتهي نهاية سيئة. ولا يدور الكلام على وحدة ظاهرة حيث يسيطر الواحد على الآخر. مع ذلك، نعرف ما أطول الوقت للوصول إلى التوازن. ليس الحب الرغبة في مساعدة الآخر. فإن الحب لا بدّ أن يكون قائلاً بالمساواة. إن الحب الذي يؤسس الزواج ويهب الوحدة للأبد ليس هو مجرّد احترام الفوارق. أن يكون الإنسان رجلاً وأن يكون امرأة هو الفرق الأساسي وهو يبتغي التكييف والذكاء والفهم. ومع ذلك، فإن هناك خطر. إن أصبح احترام الفوارق النقطة الرئيسية، فإنه يُخشى أن تشجّع حياة اثنين متوازية، أكثر بكثير من الوحدة.

إن الحب في الزواج هو، قبل كل شيء، حبّ اكتمالي. كل ما هو غنى الواحد يوهَب للآخر. فإن الأفراح والأحزان و الآمال والأوقات الصعبة تؤلّف تدريجيًا وحدة. نجد هنا سرًا رائعًا. تلك الإكتمالية تأتي من "عَلُ" أي من إرادة كائنين حرّين يحب الواحد الآخر. وهي تأتي أيضًا من "عَلُ" الله الذي هو ينبوع الحب. إنه أمر رائع أن نرى كيف أن رجلاً وامرأة، المعجونَين كل يوم من كلمة الله وحبّه، يجد كل واحد منهما ازدهاره الخاص في انسجام عميق مع الآخر. هناك إرادة في أن يوضع حبّ الله في المركز. عندئذٍ يُبرز الله صورته بتزايد في تلك الوحدة بين رجل وامرأة. عندئذٍ يولد تواطؤ هو تواطؤ حياة الله الذي يجمع. كثيرًا ما تكون الكلمات فقيرة لتصف مثل تلك السعادة. كيف تفصل بين ما جمعه الله ؟ كيف عدم الحصول على مثل تلك السعادة ؟

هناك كلمة من الكتاب المقدّس، استخدمها يسوع، وهي كلمة غادر. فإن الإنسان يغادر لكي يتمسَّك. ولا يجوز إساءة هذه الحقيقة. فإن الزواج يطلب من الإثنين أن " يغادرا". إن

الأب كافاريل، مؤسس حركة روحانية زواجية، فرق السيدة، يجب ان يقول إن الحب لا يجوز فصله عن "الزهد". ففي الزواج نجد أيضًا ذبيحة النفس من أجل الآخر. وما يمكّن من "الزهد" هو الحب، لأن الحب يلد الزهد أيضًا.

في العديد من الإفتراقات، نُسيت هذه الحقيقة أو سُتِرت. حين يتكلّم يسوع عن الزنى في جوابه إلى التلاميذ، يتكلّم عن ثلمة العمق. نعرف كلّنا جميعًا بعض الأقارب أو الأصدقاء انفصلوا. لا حاجة إلى الاستنكار، أمام أمر أليم جدًا. نقدّم دائمًا تمنيّات السعادة إلى الأزواج الشباب. يجب علينا أيضًا أن نتفاديهم، لأن الحب يُسعَّر. إن احتمال الجهد والذبيحة لا يخيف، بل يشجّع. حين يحب الإنسان، ماذا لا يعمل ؟. إن الذي وجد لؤلؤة يبيع كل ما عنده ويشتريها. مرّة أخرى، لا نَدُن أحدًا. لكن الذين يهبون بعضهم بعضًا للأبد يقدّرون تذكّر دفع السعر ونوعية الحب الذي يُعطى. إن هبة النفس السعيدة، والشاقة في بعض الساعات، تعطي الكرامة لكل واحد وتؤلّف عزّة النفس المشتركة.

الفصل السادس - إلى أين تريد أن نمضي فنعدّ لك لتأكل الفصح؟

" قال له تلاميذه : إلى أين تريد أن نمضي فنعدّ لك لتأكل الفصح ؟ فأرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما : إذهبا إلى المدينة، فليلقاكما رجل يحمل جرّة ماء فاتبعاه. وحيثما دخل فقولا لرب البيت : يقول المعلّم : أين غرفتي التي آكل فيها الفصح مع تلاميذي ؟ فيريكما عليّة كبيرة مفروشة مهيَّأة، فأعدَّاه لنا هناك " (مر١٤/١٢-١٥).

أيّاً سيكون موقفنا في نهاية حياتنا ؟ كيف نُعدّ الانطلاق الكبير ؟ تلك أسئلة نظريّة إلى حد ما، لأننا نعرف شيئاً يكون على جانب من الأهمية عن الطريقة التي سنخرج بها من هنا للذهاب إلى هناك ! عندنا جميعًا منذ الآن موقف منفتح أمام الحياة والموت. ماذا يُطلَب منّا ؟ يُطلَب منّا أن نسيطر على حياتنا وموتنا. هذه رغبة نفهمها جميعًا. فقد قال يسوع :" ما من أحد ينزع حياتي مني، بل إني أبذلها برضاي " (يو ١٠/١٨). إن يسوع هو سيّد نفسه. ولذلك فإنّ هبته هي تامّة. فإن الحب للآخرين هو الذي ينير كل شيء. لِننظر إلى ذلك المشهد المؤثر لاستعدادات الفصح، فإنّه يُنير أسئلتنا.

كان ذلك اليوم ليسوع يوم الحرية الأخير. فعند المساء، سيُقبض عليه، مع أنه لم يتوقف عن العمل كسيّد. إن مسألة التلاميذ هي طبيعية. فإن الفصح هو عيد اليهود الكبير، فمن المناسب أن يستجوبوا يسوع على نواياه. يسألونه أين يتمنَّى أن يُعَدّ كل شيء: " لتأكل الفصح ... ". لا يسألون : لنأكل الفصح. فإن هذه العبارة الأخيرة لا تناسب، لأنهم يعلمون أنهم سيشتركون في الحفلة. ولكن المعلّم في نظرهم سيُسيطر على العيد بكل عظمته المليئة بحبّ للجميع. وكانوا يعلمون أيضًا أن الساعات الآتية ستكون شاقة، علمًا بأن رؤساء الشعب يريدون القبض على يسوع.

أين يُعدّون الفصح ؟ على سؤال التلاميذ، يعطي يسوع ما قرأناه. يعمل يسوع كمعلّم يعرف أهميّة ذلك العشاء، له ولتلاميذه والعالم ولنا.

ما أعظم سيطرة يسوع هذه ؟ إن تلك الحريّة هي حريّة العطيّة. يسوع هو سيّد لأنه ينظر إلى حياته في نور الفصح : عيد تحرير شعبه، وذكرى اليوم الذي انتقل اسرائيل، بقوة الله، من العبودية في أرض مصر إلى الحريّة في أرض الميعاد. كان يسوع يسيطر على نفسه، لأنه يهب نفسه لتلاميذه ولتحريرهم. قال صراحة :" آكل الفصح مع تلاميذي". فإنّ هبة حياته ستكون من أجلهم ومن أجل جميع الذين سيؤمنون به بفضل إعلان بشارتهم وبفضل جميع الناس. سيصبحون جميعًا أحرارًا، لا بل سيتعرّفون إلى ولادة جديدة للحياة الأبديّة. أن يكون الإنسان سيّد حياته وسيّد موته هو هبة نفسه حبّاً. ما يعمله يسوع يفهمه العديد من المرضى أو من الأشخاص الذين يرون مجيء نهاية أيامهم. إن الوهن والعمر والمرض تُفقرنا بالعديد من الطرق، فإن الحبّ و الزهد بالنفس يساعداننا على الوقوف. وهناك أيضًا ما يحرّر الذين نحبّهم : فيكون ميراثهم الحرية والزهد في النفس بدورهم. الإحتفال بالفصح ! الإحتفال بآخر الحياة في الحب الخصيب للآخرين.

إن يسوع هو سيّد نفسه في حياته وموته. يجب أن نضيف : إنه سيّد لأنه ابن. سيحتفل يسوع بالفصح، ولكن لا بفصح يخترعه. إنه عيد تحرير اسرائيل بفضل إله ابراهيم واسحق ويعقوب وبفضل الله أبيه ! يهب يسوع عطية حياته الشخصية في عطية الآب لإسرائيل وللعالم. يهب نفسه في هبة الآب. لا يقرّر نفسه ساعة موته. إنه ينتظر "الساعة". فإن الآب هو الذي يعطي إبنه لخلاص العالم. إن الآب يعرف الساعة ! أمّا نحن، فلا نقرّر ساعة رحيلنا. لو كانت الحرية في العطية، فإننا لا نعطي حياتنا عندما نقرّره بأنانية، بل نعطيها حين تصبح خصيبة للآخرين. والحال أن الآب هو الذي يقرّر ويكون الرباط دائمًا بين بنيه. إنه إله الأحياء.

" فذهب التلميذان وأتيا المدينة، فوجدا كما قال لهما يسوع وأعدّا الفصح".

الفصل السابع ـ أين تُقيم ؟

" فالتفت يسوع فرآهما يتبعانه فقال لهما : ماذا تريدان ؟ قالا له : رابي (أي يا معلّم، أين تُقيم ؟ فقال لهما : هلمَّا فانظرا. فذهبا ونظرا أين يقيم، فأقاما عنده ذلك اليوم. وكانت الساعة نحو الرابعة" (يو ١/٣٨-٣٩).

كيف نستطيع أن نسير في خطى الرب ؟ كيف نستطيع أن نصبح تلاميذه ؟ كيف نؤسس فينا بمتانة الإيمان والثقة به ؟ إن اللقاء بين يسوع والتلميذين اللّذين يأتيان إليه يوضّحاننا. " أين تقيم ؟ ". هذا السؤال هو، في الواقع، جواب لسؤال يسوع. " فالتفت يسوع فرآهما يتبعانه، فقال لهما : ماذا تريدان ؟ ". سؤالان يضعان شرط التلميذ.

" ماذا تريدان ؟ ". إن سؤال يسوع هو أوَّل كلام يلفظه في إنجيل يوحنا. ليس مجرَّد سؤال يُطرَح على مارَّين يسألان عن طريق في الناحية، بل يدور الكلام هنا عن طريق الحياة. هذا السؤال كلّه احترام ومعانٍ. لا يقول : " من تريدان ؟ "، لأنها تركّز التلميذين على يوحنا فقط، بل يسأل : ماذا تريدان ؟ أي ما هو سبب مجيئكم إليَّ. أفكّر في هذا السؤال المطروح على مبتدئين في رهبانية، عندما يطلبون أن ينضمّوا إلى إحدى الرهبانيات. يُطرح عليهم هذا السؤال لكي يجدوا في صميم قلوبهم الأسباب التي تدفعهم إلى الالتزام. هذا السؤال يعبّر عن الرغبة في معرفة الآخر وحياته.

" ماذا تريدان ؟". هذا السؤال يحترم حريّة الرَجلَين اللذين يأتيان من تلقاء نفسيهما إلى الرب. فيسألهما يسوع "بعد أن رأى أنهما يتبعانه". كانا يتبعانه،لا فقط بمعنى الكلمة، بل لأن قلبيهما كانا ينفتحان له، بصفته المعلّم. إن الحب يبحث عن الحرية.

" أين تُقيم ؟". إن اندراوس، وهذا هو اسمه، ورفيقه، الذي سمَّاه التقليد يوحنا، أجابا معًا إلى يسوع بسؤال آخر. يريدان أن يُصبحا تلميذيه. والحال أن ميزة التلميذ هي أن يطرح أسئلة ويرغب في درس المعلّم. فلا عجب إذاً أن يطرحا أسئلة على يسوع بدورهما. لكن سؤالهما هو جواب أيضًا، لأنه يُظهر الحقيقة. إن ذلك السؤال هو واضح وموجَّه، لأنه يدل على يسوع : " أين تُقيم ؟ ". كانا تلميذي يوحنا المعمدان، فأخذا الكثير عنه. أمَّا الآن، فإنهما يريدان أن يتبعا يسوع، باستثناء كل إنسان آخر. إن اندراوس ويوحنا لا يطلبان الحكمة فقط، بل يريدان أن يتمسكا بيسوع وحده.

إنّ التمسّك المتأصّل بيسوع الذي يتمنّاه اندراوس ويوحنا يشرح جرأة سؤالهما. فإنهما يدعوان نفسيهما إلى ألفة المعلّم، ويرغبان في اكتشاف ما يجعله يحيا، ما هو ينبوعه ونوره. يريدان أن يعرفاه هو. من يبحثان عنه هو الرب. ويتمنّيان أن يعرفا هو "محل إقامته". هذه جرأة كل شخص يريد أن يسير في خطى الرب. هذه جرأة الحب الذي لا يوقفه شيء.

قال لهما يسوع : " تعالوا وانظروا " بجواب يسوع هذا، أصبح اندراوس ويوحنا تلميذيه. فإنّ الرب " اختارهما " (يو١٥/١٦). إن الرب يدعونا ويفتح لنا باب بيته. سيرشدنا ويقودنا من أنوار إلى أنوار ... سنصل إلى حيث يقيم. ماذا سنرى ؟ إن بيت يسوع هو في أبيه. كلّ الوحي هو هنا. كل سعادة الإنسان هي هنا. لا يمكن أن يُقال شيء أكبر وأجمل. فإن إنجيل

يوحنا سيُصعدنا إلى تلك الآية التي تنير كل حياة. يسوع يوحي لنا أباه وأبانا. سرّ الحب الرائع ! " يا أبتِ، إن الذين وهبتهم لي أريد أن يكونوا معي حيث أكون " (يو ١٧/٢٤).

الفصل الثامن ـ لماذا لم يُبَع هذا الطيب بثلاثمائة دينار فتُعطى للفقراء ؟

" قال يهوذا الإسخريوطي أحد تلاميذه، وهو الذي أوشك أن يسلّمه : لماذا لم يُبَع هذا الطيب بثلاثمائة دينار فتعطى للفقراء ؟ فقال يسوع : دَعها، فإنها حفظت هذا الطيب ليوم دفني. إن الفقراء هم عندكم دائمًا أبدًا. أمَّا أنا فلست عندكم دائمًا أبدًا " (يو١٢/٤-٨).

وصلنا إلى أسبوع يوسف الأخير قبل موته : ستة أيام قبل الفصح. سيتمّ عمل نبوي. نحن في بيت عنيا، حول مائدة يسوع. هناك أشخاص حاضرون معروفون من القرَّاء : لعازر، " الذي أقامه يسوع من بين الأموات" ، ومرتا "التي كانت تخدم"... ومريم أختها، " التي دهنت الرب بالطيب ومسحت رجليه بشعرها ". هنا كل واحد معروف بما يشبه اللقب، بالنسبة إلى يسوع. وهذا اللقب يُبرز جمال الشخص، ويدل على إيمانه وعلى العطية الموهوبة من عند الله.

نحن حول مائدة، ولكن يهوذا أيضًا موجود. بوجه نبوي ومأسوي سيتمّ كل شيء في بعض لحظات، ويبقى يسوع المعلّم دائمًا. موقفان مختلفان يتجابهان : مريم تأخذ طيبًا عالي الثمن وتدهن قدميّ يسوع وتمسحهما بشعر رأسها. فامتلأ البيت من شميم الطيب. كأني أشمّ إلى اليوم ذلك الطيب الرائع، طيب حبّ لا مثيل له، يرفعه العديد من المؤمنين لربّهم ... " وكلّ " ، هذا فظيع. ولكن، في عينَي مريم، هل يكفي للتعبير عن احترامها وحبّها للرب والمعلّم. منطق الحب والعطاء. على النقيض، يهوذا. سرعان ما قدّر ثمن الطيب ووجد حلاً ... للفقراء طبعًا. ولكننا نعرف ما قاله صاحب الإنجيل : " لم يقل هذا لاهتمامه بالفقراء، بل لأنه كان سارقاً وكان صندوق الدراهم عنده، فيختلس ما يُلقى فيه. منطق موت، فإنه كان يحوّل لنفسه. أمَّا مريم فكان يسوع فوق كل شيء. منطقان : منطق الحب ومنطق الموت.

إن يسوع حسم النزاع، لأنه المعلّم وتكلّم كالقاضي. أعطى الحق لمريم مضيفاً على عمله معنىً نبويًا : " فإنها حفظت هذا الطيب ليوم دفني ". لا يخفى عليها بغض يسوع وما يقول رؤساء الشعب عن الحكم عليه بالموت. إن حبّه وإيمانه يجعلانه يرى المأساة الآتية. ولذلك فإن الرب والمعلّم يعبّر جهرًا على ما كان جديدًا في قلب مريم. كثيرًا ما تعبّر اعمالنا عن أقوالنا.

وأخيرًا، يضيف يسوع هذا القول المؤثر لمريم وللتلاميذ : " إن الفقراء هم عندكم دائمًا أبدًا. وأمَّا أنا فلست عندكم دائمًا أبدًا ". إن قول يسوع هذا ليس هو في منطق يهوذا الجابي. في إنجيل القديس مرقس، يختم يسوع هذا الحدث : " الحق أقول لكم : حيثما تُعلن البشارة في العالم كلّه، يحدّث أيضًا بما صنعت هذه، إحياء لذكراها " (مر ١٤/٩). إن يسوع يكرّم مريم بأبّهة، لأنها، بصفتها تلميذة حقيقية، اعترفت بالإيمان بعملها. أمّا يسوع فإنه يؤكّد مسبقاً أنه أهل لتلك التقدمة : فإنه ابن الله.